العلاقة بين الدين والحضارة في رؤية صموئيل هانتنغتون

محمود صالح سعيد *

تأريخ التقديم: 2019/9/8 تأريخ القبول: 2019/10/28

المستخلص :

يسلط هذا البحث الضوء على واحدة من أهم الأسس الفكرية لنظرية صدام الحضارات ، التي قدمها أستاذ العلوم السياسية بجامعة هارفرد صموئيل هانتنغتون Samuel p. Huntington (1927 – 2008م) ، وهي قضية العلاقة بين الدين والحضارة ، وأثر الدين في التصادم الحضاري . وسبب اختيار الموضوع هو أن هانتنغتون يعد واحداً من أبرز المحللين السياسيين الإستراتيجيين في الولايات المتحدة . وقد برزت هذه النظرية في عقد التسعينيات من القرن المنصرم ، وأثارت ردود أفعال مختلفة بين مؤيد ومعارض وبين مشجع ومستهجن لها تدفع المرء لسبر غورها ومعرفة أبعادها . بلور هانتنغتون نظريته شكل العلاقة المستقبلية بين الأمم والشعوب ، مؤكداً على أنها ستتخذ شكل صراع بين الحضارات ، وذلك في أعقاب انهيار الإتحاد السوفياتي والكتلة الشيوعية مطلع التسعينيات . ووجد في الدين مرتكزاً أساسياً يمكن من خلاله بلورة العلاقة بينه وبين الحضارة ، على أساس أن يكون لها دوراً خطيراً في المستقبل ، ووجد في الإسلام قوة فكرية وبشرية صاعدة سيقدر لها المستقبل أن تؤدي دوراً رئيسياً في هذا الصراع .

الكلمات المفتاحية : تصادم ، ثقافة ، دين

المقدمة

يسلط هذا البحث الضوء على واحدة من أهم الأسس الفكرية والأركان الأيديولوجية لنظرية صدام الحضارات ، التي قدمها أستاذ العلوم السياسية بجامعة

* أستاذ مساعد /قسم التاريخ/كلية الآداب/ جامعة الموصل .

هارفرد – آنذاك – صموئيل هانتنغتون Samuel p. Huntington (1927 – 2008م) ، وهي قضية العلاقة بين الدين والحضارة ، وأثر الدين في التصادم الحضاري .

يعد هانتنغتون واحداً من أبرز المحللين السياسيين الإستراتيجيين في الولايات المتحدة . وقد برزت هذه النظرية في عقد التسعينيات من القرن المنصرم ، وأثارت ردود أفعال مختلفة بين مؤيد ومعارض وبين مشجع ومستهجن لها تدفع المرء لسبر غورها ومعرفة أبعادها .

بلور هانتنغتون في نظريته شكل العلاقة المستقبلية بين الأمم والشعوب ، مؤكداً على أنها ستتخذ شكل صراع بين الحضارات ، وذلك في أعقاب انهيار الإتحاد السوفياتي والكتلة الشيوعية مطلع التسعينيات . ووجد في الدين مرتكزاً أساسياً يمكن من خلاله بلورة العلاقة بينه وبين الحضارة ، على أساس أن يكون لها دوراً خطيراً في المستقبل ، ونلحظ من اجل ذلك أن صموئيل هانتنغتون وجد في الإسلام قوة فكرية وبشرية صاعدة سيقدر لها في المستقبل أن تؤدي دوراً رئيسياً في صراع الحضارات .

إن ما يشهده العالم من صراعات وتدخلات خارجية في شؤونه ، لا سيما تدخل الولايات المتحدة وحلفاءها في شؤون العالم ، في أعقاب أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر 2001م ، جاء ليبرهن على صحة هذا الطرح ، ويؤكد على صدق هذه النظرية وواقعيتها ، وليكشف طبيعة العلاقات المتشابكة التي تربط الدين بالحضارة .

من أجل ذلك يأتي هذا البحث ليبين طبيعة العلاقة التي تحكم الدين بمفهوم الحضارة عند صاحب هذه الخطاب ، وأهم الأسس الفكرية التي تحكمه وأسبابه ، والطريقة التي نظر بها صموئيل هانتنغتون إلى الدين عموماً والإسلام خصوصاً . كل ذلك بالاستناد إلى كتابات المؤلف هانتنغتون وطائفة من المصادر والمراجع ذات الصلة.

تمهيد : في أصول خطاب صِدام الحضارات :

إن خطاب صراع الحضارات ، في الواقع ، ليس من بنات أفكار صموئيل هانتنغتون وحده بل نتاج مدرسة فكرية واسعة ليس في أميركا فحسب بل والعالم أيضاً[1] . وقد وجد له آذاناً صاغيةً عند بعض السياسيين ، منهم من تبوأ منصباً حكومياً وصل إلى سدة الرئاسة . إن أهمية هذا الخطاب تكمن في الدور الذي يؤديه ، فمنذ أن ظهر مقال صموئيل هانتنغتون في مجلة الشؤون الخارجية الأميركية في صيف 1993م ، حظي الموضوع باهتمام وسائل الإعلام ، وأصبح من أكثر الموضوعات انتشاراً حتى قبل أحداث الحادي عشر من أيلول / سبتمبر عام 2001م ، التي أدت بدورها إلى تضخيم الاهتمام بخطاب صراع الحضارات ، فكثر الحديث حول صراع الحضارتين الغربية والعربية الإسلامية [2].

والأستاذ هانتنغتون أمريكي من أصل يهودي ، متخصص في الإدارة العامة ومدير لمعهد جون أولين للدراسات الاستراتيجية بجامعة هارفرد . وقد كرس حياته

---

[1] لعل أبرز من يمثل هذه المدرسة الفكرية من المستشرقين : برنارد لويس الذي عده البعض المنظر والمروج الأول لفكرة صدام الحضارات ، فقد كتب عام 1990م مقالة في مجلة اتلانتك أكد فيها بأن العالم يواجه صداماً بين الحضارات. هذا إلى جانب طائفة واسعة من المستشرقين الغربيين الذين يروجون لخطاب الصدام والكراهية للإسلام . للتفاصيل ينظر :

Bernard Lewis, "The Roots of Muslim Rage; why So Many Muslims Deeply Resent the West and Why Their Bitterness will not Be Easily Mollified" Atlantic Monthly , 266. (September, 1990) p.60 . " منشور على الموقع الالكتروني

https://www.theatlantic.com/magazine/archive/1990/09/the-roots-of-muslim-rage/304643/

عبد الله يوسف سهر محمد ، مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين ، سلسلة دراسات استراتيجية (العدد 57) ، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية (أبو ظبي ، 2001) ، ص35 ؛ علي بن ابراهيم النملة ، نقد العقل المعاصر ، صناعة الكراهية بين الثقافات وأثر الاستشراق في افتعالها ، دار الفكر (دمشق ، 2008) ، ص125 – 138 ؛.

[2] أمارتيا صن ، الهوية والعنف ، وهم المصير الحتمي ، ترجمة سحر توفيق ، سلسلة عالم المعرفة (352) ، (الكويت ، 2008) ص53 .

المهنية لموضوع الاستراتيجية العسكرية ، بحثاً وتدريساً ، وأهتم بصورة مباشرة بالدراسة المقارنة في مجال السياسة الأمريكية وسياسات دول العالم الثالث ([1]) .

برز أسم هانتنغتون أول مرة في الستينيات من القرن المنصرم عندما نشر بحثاً بعنوان : " النظام السياسي في مجتمعات متغيرة " وفيه تحدى النظرة التقليدية لمنظري التحديث والتي تقول بأن التقدم الاقتصادي والاجتماعي سيؤديان إلى قيام ديمقراطيات مستقرة في المستعمرات حديثة الاستقلال ، مما يؤكد أن لديه رؤية مختلفة الى مستقبل هذه البلدان المستعمرة ، وهي رؤية تنسجم مع الاطار العام لفكرة الصراع الايديولوجي بين الحضارات ، لأنه يؤمن باستحالة الانسجام بين المرجعيات الفكرية للغرب وبقية الحضارات ولا سيما الاسلام ، وعلى اية حال فإن هانتنغتون خلال الفترة من عامي 1977 و 1978م أسندت إليه مهمات اساسية في مجلس الامن القومي من ذلك مسؤولية قسم التحليل والاستشراف بمجلس الأمن القومي الأمريكي [2].

تكمن خطورة خطاب صدام الحضارات في أنه استطاع أن يحل محل خطاب (نهاية التاريخ) لفوكوياما ، فضلاً عن ما لاقاه من رواج منقطع النظير ، ولعل سبب رواج خطاب الصراع هذا محل خطاب نهاية التاريخ يرجع إلى وظيفة الخطاب المعلن لكلاهما . فخطاب نهاية التاريخ يتحدث عن الماضي ، وبالتالي يبعث الاطمئنان على مستقبل الولايات المتحدة ، إذ يؤكد خطاب نهاية التاريخ على انتصار الليبرالية (الافكار الحرة) ، والنموذج الأمريكي بشكل اساسي ، مما يثير التساؤل عن جدوى تخصيص المبالغ الهائلة للدفاع في ميزانية الولايات المتحدة ، أما أطروحة صدام الحضارات فهي تتحدث عن المستقبل ، وتنذر بخطر المواجهة والحرب ، وتدعو صراحة إلى أخذ

([1]) Mark D. Mandeles, presentation to the Military Classics Seminar, 19 May 2009, Fort Myers's Officer's Club. Samuel P. Huntington, The Soldier and the State: The Theory and Politics of Civil-Military Relations(Cambridge: The Belknap Press, 1957), no page.

[2] محمد عابد الجابري ، قضايا في الفكر المعاصر ، مركز دراسات الوحدة العربية ، (بيروت ، 1997) ، ص93 .

الحيطة والاستعداد للدفاع عن النموذج الحضاري الأمريكي ، وعن المصالح التي يقوم عليها ، وبالتالي تخصيص ما يلزم من الأموال لذلك [1].

يمتلك خطاب صدام الحضارات منطلقات وآليات عدة يحاول تكريسها والعمل من أجل تحقيقها ، ويمكن رصد منطلقين أساسيين يعتمد عليهما خطاب صدام الحضارات :

الأول التمييز بين الحضارة الغربية من جهة وبقية الحضارات من جهة ثانية ، والثاني بذل الجهود من أجل تكريس الهيمنة الغربية على بقية الحضارات . أما ما يتعلق بآليات خطاب صدام الحضارات فيمكن تحديد الدين بوصفه المعيار الأساس للتمييز بين الحضارات ، وحتمية الصدام بينهم ، والإسلام بوصفه العدو الأول للحضارة الغربية سيكون في طليعة القوى الصدامية للحضارة الغربية ، وبالتالي فإن الحضارة تشكل كل شيء بما فيها السياسة والاقتصاد [2].

ويأتي هذا البحث ليناقش أحدى أهم آليات هذا الخطاب ، وهو الدين بوصفه معيار التمييز بين الحضارات ، وسيستقي الأمثلة من الإسلام بوصفه (العدو الأول) للحضارة الغربية .

الواقع إن موضوع صدام الحضارات شغل كثير من الناس ، أكاديميين ومثقفين ، وكتبت تعليقات عدة وردود كثيرة منها ما يقف ضدها رافضاً ومشككاً بنواياها ، ومنها ما أيدها ووافق على طروحاتها ، ومنها ما أقترح بديلاً عنها قائلاً بـ (حوار الحضارات) كبديل عن (صدام الحضارات) [3].

---

(1) المصدر نفسه ، ص84 .

(2) مساهمة أولية للوعي بالآخر : منطلقات وآليات صدام الحضارات ، دراسة أعدت للنشر في كتاب صدام الحضارات : وإعادة بناء النظام العالمي ، دار الجماهيرية ، ترجمة : مالك عبيد أبو شهيوة و محمود محمد خلف ، (مصراتة ، 1999) ص13 .

(3) الجابري ، المصدر السابق ، ص83 .

ولكن قبل الولوج إلى الموضوع لا بد من التعرف على مفهومي الدين والحضارة في الفكر الغربي ، والذي يختلف في منظوره عن الفكر الإسلامي .

المحور الأول : في مفهومي الدين والحضارة في الفكر الغربي:

إن تحليل المفاهيم الأساسية لأي فرع أو حقل معرفي يعد المدخل الأول لتفكيك ذلك الفرع من المعرفة ، بشكل يسمح بتشخيصه ، وتحديد وضعيته ، ومعرفة مبادئه ومداخله . وينطبق هذا الأمر على مفهوم الدين والحضارة . من جهة أخرى لا يمكن الادعاء بالإلمام الكامل بجميع التعريفات الخاصة بهذين المفهومين عند الفكر الغربي ، لذا فالاكتفاء بالمدلولات الأساسية للمفهوم ، التي تعطيه ماهيته ، وتحدد جوهره ، ومحتوياته ، ستكون المرتكز لهذا العمل . لقد تشعب المفهوم ليشمل مختلف العلوم الاجتماعية ، التي أصبح عند بعضها مكوناً أساسياً لها .

فبالنسبة لمفهوم الحضارة لم يجد اتفاق في اللفظ الأجنبي فأحياناً يشتق من اللفظة Culture وأخرى من اللفظة Civilization وثالثة أنه يشملهما معاً . من جهة أخرى فإن الحديث عن الحضارة أخذ يستبطن دائماً الحديث عن العالمية ، التي تعني النموذج الحضاري السائد في عصرنا ، وتحول مفهوم الحضارة بهذا المعنى إلى غطاء يبرر نسخ جميع الخصوصيات والذوبان في الحضارة الغالبة ، التي حولت مفهوم الحضارة إلى واحدة من صفاتها المتعددة [1].

فبعض الباحثين العرب ميزوا بين مصطلح الحضارة عن مصطلح آخر هو الثقافة بوصف الأول يتعلق بالأمور المادية ، أما المصطلح الثاني فيتعلق بالأمور الذهنية [2]. أما لفظ الحضارة مقابل اللفظ الإنكليزي Culture فقد برز استخدامه عند كتاب علماء الاجتماع والأنثروبولوجيين العرب في ترجماتهم للمؤلفات الأوربية في هذين

---

(1) نصر محمد عارف ، الحضارة – الثقافة – المدنية ، دراسة لسيرة المصطلح ودلالة المفهوم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، (عمّان ، 1994) ص 16 .

(2) ينظر على سبيل المثال ، سلامة موسى ، الثقافة والحضارة ، مجلة الهلال ، (القاهرة ، ديسمبر ، 1927) ص171 .

الحقلين ، ومن ثم شاع الحديث عن مفهوم الحضارة والمقصود به هو Culture في المدلول الأوربي [1].

يعود أصل الكلمة الأوربية Civilization إلى الجذر اللاتيني Civites بمعنى مدينة و Civis بمعنى ساكن المدينة أو Citizen وهو ما يُعرف به المواطن الروماني المتعالي على البربري . ولم يشتق منها Civilization حتى القرن الثامن عشر . وربما كان أول من استخدمها في كتاب منشور هو المركيز دي ميرابو (1749-1791م) ، في كتابه (صديق الرجال أو مقال في السكان) الذي نشر في عام 1757م . وقد ثبت أنه كان للكلمة في البداية معنى مختلف عن المعاني التي منحها إياها كُتّاب أوربيون بارزون أمثال اسوالد شبنجلر (1880-1936م) وأرنولد توينبي (1889-1975م) وآخرون . لكن هذه الكلمة لم تلقَ انتشاراً في حينها [2].

وهكذا برز مصطلح الحضارة خلال النصف الأخير من القرن الثامن عشر ، فكان أول قاموس احتواه نشر في عام 1798 م [3]. ومنذ ذلك التأريخ بدأ الاهتمام الغربي بالحضارة والمقارنة بينها وحضارات الأمم الأخرى يأخذ أشكاله المختلفة .

ومن التعاريف الأخرى للحضارة في الفكر الغربي تعريف ول ديورانت الذي يعرفها بأنها " نظام اجتماعي يُعين الإنسان على الزيادة في إنتاجه الثقافي ، وتتألف الحضارة من أربعة عناصر هي : الموارد الاقتصادية ، والنظم السياسية ، والتقاليد ، ومتابعة العلوم والفنون ، وهي تبدأ حيث ينتهي الاضطراب والقلق ، لأنه إذا ما أمن الإنسان من الخوف ، تحررت في نفسه دوافع التطلع وعوامل الإبداع والإنشاء ، وبعدئذ

---

(1) عارف ، المصدر السابق ، ص29 .

(2) جيمس هارفي روبنسون ، الحضارة ، ترجمة علي إسلام ، مطبعة مصر (القاهرة ، 1965) ص8 ؛ عارف ، المصدر السابق، ص33 – 34 .

(3) ساطع الحصري ، آراء وأحاديث في العلم والأخلاق والثقافة ، دار الطباعة الجديدة (بيروت ، 1950) ص 48 .

لا تنفك الحوافز الطبيعية تستنهضه للمضي في طريقه إلى فهم الحياة وازدهارها " [1].

ويعرفها الرومانسيون الألمان بأنها الأبعاد المادية من حياة الإنسان . على حين يركز الفكر الفرنسي على أنها تشمل البُعدين المادي والفكري من أبعاد التقدم [2].

وخلاصة القول هناك ثمة تداخل كبير في رؤية الفكر الغربي لمفهوم الحضارة ، فهناك من جعل المفهوم مرادفاً لمفهوم الثقافة Culture ، وهناك من جعله قاصراً على نواحي التقدم المادي من آلات ومؤسسات واختراعات .. . وهناك من جعله شاملاً لكل أبعاد التقدم . وهناك من قَصَرَ المفهوم على نواحي التقدم الخاصة بالفرد ، وهناك من رأى أنها تشمل الفرد والجماعة ، وهناك من رأى أنها مفهوم عالمي – أي أن هناك حضارة واحدة دائماً وأن كل المجتمعات تساهم فيها بنصيب ما – أما الثقافة فهي خاصة بكل شعب ، وهناك من رأى العكس [3]. مما يظهر عدم استقرار المفهوم بشكل كامل ، وفي ضوء تعدد الرؤى واختلاف زوايا الطرح فإن البحث يميل الى الفصل بين الحضارة والثقافة والمدنية ، فالمدنية تشمل النواحي المادية للحضارة والثقافة تشمل الجوانب الاعتبارية والفكرية ، أما الحضارة فتجمع هذين المصطلحين لتكوّن مفهوماً أكثر شمولاً وامتداداً للنشاط الانساني من المصطلحين السابقين .

أما الدين بالنسبة للفكر الغربي فيتكون في جوهره من وحي وتفسير لذلك الوحي . والوحي ثابت لا يتغير ، لأنه يمثل التعبير الفعلي عن الإرادة الإلهية ، ويتضمن الحقائق الخالدة . أما التفسير فهو المتغير عبر الزمان والمكان [4]. وفي الحضارة الغربية لا يوجد تعريف متفق عليه حول تعريف الدين بين الموسوعات العلمية ، وعلماء

---

(1) وول ديورانت ، قصة الحضارة ، نشأة الحضارة ، ترجمة زكي نجيب محمود ، لجنة التأليف والترجمة (القاهرة ، 1956) ج1 ، ص3 .

(2) عارف ، المصدر السابق ، ص39 .

(3) عارف ، المصدر نفسه ، ص 39 –40 .

(4) شاخت وبوزورث ، تراث الإسلام ، ترجمة حسين مؤنس و إحسان صدقي العمد ، ج2 ، ط2 ، عالم المعرفة (الكويت ، 1988) ص56 .

الاجتماع ، والفلاسفة ، والمعاجم اللغوية .. ومع هذا فإن إحدى التعاريف تصفه بأنه أعظم خاصية للجنس البشري .. وهو الفيروس العقلي الذي له خاصية الانتشار الذاتي من جيل إلى آخر [1]. وبذلك تعترف الحضارة الغربية بالدين كواحدة من أهم المقومات الأساسية للحضارة الغربية ، وأنه لا بد من وجودها في أي مجتمع وفي أي حضارة لتشكل جوهره وأحد مقوماته الأساسية، وهذا يختلف تماماً مع ما يطرحه بعض المفكرين من دعاة العلمانية الذين يستبعدون الدين من الحياة ويزعمون ان لا اثر أو تأثير له في سلوك الانسان ونشاطه الحضاري .

إن الحضارة ظاهرة إنسانية عامة ، حيث يعمل الإنسان على تحسين أحواله بفضل ما أهداه الله من عقل يمكنه التفكير واختزان المعلومات والربط بينها والإفادة منها ، وبهذا المفهوم فإن جميع أجناس البشر لديها حضارة وما من أمة من الأمم إلا ولها مستواها الحضاري [2]. وبالتالي فهي مجموعة المنجزات الفكرية والاجتماعية والأخلاقية والصناعية التي يحققها مجتمع معين في مسيرته لتحقيق الرقي والتقدم [3].

يرى هانتنغتون الحضارة بوصفها كيان ثقافي في أوسع معانيه ، وبالتالي فإن جميع القوميات والجماعات العرقية والدينية تمتلك ثقافات متميزة ، وهذا يمثل تنوع ثقافي واضح بينها وهو يعكس تنوع حضاري [4]. فالقرى والمناطق والجماعات العرقية والدينية والقوميات تمتلك جميعاً ثقافات متميزة . وربما تختلف ثقافة قرية في جنوب إيطاليا عن أخرى في شمالها لكن كلتاهما تتشاطران ثقافة إيطالية مشتركة تميزها عن الثقافة الألمانية ، والمجتمعات الأوربية بدورها تشترك في ملامح ثقافية تميزها عن المجتمعات العربية أو الصينية . ومع هذا فالعرب والصينيون والغربيون ليسوا جزءاً من أي كيان

---

(1) محمد الحسيني إسماعيل ، الإسلام والغرب ، المواجهة والحل ، مكتبة وهبة (القاهرة ، 2005) ص83 .

(2) حسين مؤنس ، الحضارة ، عالم المعرفة (الكويت ، 1978) ص49 .

(3) عبد الوهاب الكيالي ، موسوعة السياسة ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (بيروت ، 2001) ج2 ، ص549 .

(4) صامويل هانتنغتون ، صدام الحضارات ، ص105-106 .

ثقافي أشمل وفقاً له . إنهم أصحاب حضارات . وهكذا فالحضارة عند هانتنغتون هي متعددة وليس هناك حضارة أنسانية واحدة . والحضارة تمثل عنده أرفع تجمع ثقافي للبشر ، وهي أشمل مستوى للهوية الثقافية لا يفوقه من حيث تحديده للهوية الثقافية إلا الذي يميز الإنسان عن غيره من الأنواع الأخرى ، يمكن تحديدها بكل العناصر الموضوعية مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات [1].

يرصد هانتنغتون وجود ثماني حضارات كبرى معاصرة في العالم هي : الحضارة الكونفوشيوسية والحضارة البوذية والحضارة الهندوكية والحضارة الإسلامية والحضارة الأرثوذكسية والحضارة الغربية وحضارة أميركا اللاتينية والحضارة الأفريقية . ويظهر أن خمس من بين ثماني حضارات حددها تنتسب إلى دين (الكونفوشيوسية والبوذية والإسلامية والأرثوذكسية والهندوكية) وحضارتين تنتسب إلى قارة (الحضارة الأفريقية وأميركا اللاتينية) وأخرى تنتسب تسميتها إلى الجغرافية (الحضارة الغربية) . وفيما يخص الإسلام ، فهو يرى ثمة فروع للحضارة الإسلامية تنتسب إلى ثقافات عدة متميزة أسماها " بالفروع الحضارية " داخل الإسلام يمكن تحديدها بالعرب والأتراك والفرس والملاويين [2].

وهكذا يبدو تنوع الحضارات واضح في ضوء هذه النظرية ، ويؤدي الدين دوراً محورياً فيها وفي تشكيل نسقها لكنها جميعاً غير معنية بصراع الحضارات من وجهة نظر الغرب عامة وهانتنغتون خاصة .

المحور الثاني : طبيعة العلاقة بين الدين والحضارة عند هانتنغتون

يرى هانتنغتون أن الدين يمكن وصفه بأنه النقطة الأساسية التي يمكن من خلالها التمييز بين الحضارات ، فالدين له خاصية أساسية يمكننا ، من خلاله ، أن

---

(1) صموئيل هانتنغتون ، الإسلام والغرب آفاق الصدام ، ترجمة مجدي شرشر ، مكتبة مدبولي (القاهرة ، 1995) ، ص8-9.

(2) هانتنغتون ، صدام الحضارات ، ص109-113.

نميز بين الحضارات . وحدد خمس حضارات تقوم معظمها على الدين بوصفه المعيار الأساسي للتمييز بين الحضارات . وهذه الحضارات هي : الحضارة الإسلامية ، والحضارة الكونفوشيوسية ، والحضارة الهندوسية ، والحضارة البوذية ، والحضارة الارثوذكسية . أما بقية الحضارات فيستبعد الدين منها وهي : الحضارة الغربية [1] ، وحضارة امريكا اللاتينية ، والحضارة الأفريقية [2]. ويرى أن من بين الأديان الخمسة العالمية (الإسلام والمسيحية والهندوكية والبوذية والكونفوشيوسية) هناك أربع مرتبطة بحضارات عظيمة وعريقة وهي : المسيحية الإسلام والهندوسية والكونفوشيوسية [3]. ويضيف في تأكيده على خطورة الدين في التمييز بين الحضارات عندما يجدها بأنها أكثر أهمية وخطورة من كل المقومات الموضوعية الأخرى كاللغة والدم فيقول في هذا الصدد : " من بين كل المقومات الموضوعية التي تحدد الحضارة ، كالدم واللغة ونمط الحياة وغيرها ، فإن الدين أكثرها أهمية . فالحضارات الكبرى في التأريخ ارتبطت في تحديدها بالديانات العالمية العظيمة . وأن الشعب الذي يتقاسم الأصل العرقي واللغة ولكن يختلف في الدين من الممكن أن يذبح بعضه بعضاً كما يقول هانتنغتون ، كما هو في لبنان ويوغسلافيا (سابقاً) وشبه القارة الهندية " [4]. فالعناصر الرئيسية لأي حضارة هي اللغة والدين . فإن أي حضارة آخذة في الإنبثاق ينبغي أن توجد اتجاهات نحو انبثاق لغة عالمية وديانة عالمية [5]. وهذا الأمر يعني بوضوح العلاقة الوثيقة التي تربط الدين بأي حضارة عالمية .

[1] تتألف الحضارة الغربية عند هنتغتون من دول (الولايات المتحدة وكندا واستراليا ونيوزيلندا وأوربا . هانتنغتون ، صدام الحضارات ، ص15 .

[2] هانتنغتون ، صدام الحضارات ، المصدر السابق ، ص31 .

[3] المصدر نفسه ، ص114 .

[4] المصدر نفسه ، ص104 – 105 .

[5] المصدر نفسه ، ص133 .

تجدر الملاحظة استبعاد هانتنغتون صفة الدين عن الحضارة الغربية ، ربما بسبب وجود معايير أخرى أكثر وضوحاً من الدين في الحضارة الغربية ، كالمعيار الفردي والعلماني ونحوهما . كذلك يعتقد بأن الدين المسيحي هو نتاج حضارة غير غربية كبقية الديانات العالمية العظيمة [1]. وفي هذا الصدد يرى هانتنغتون أن منتجات الحضارة الغربية هي منتجات لا دينية ، أما بقية الحضارات فقد أنتجت الدين ، لذلك يرى بأن الحضارة الغربية أنتجت الليبرالية والاشتراكية والفوضوية والنقابية والماركسية والشيوعية والقومية والفاشية والديمقراطية ، أما الديانات فكلها نتاج حضارات غير غربية [2]. ويبدو أن مفهوم هانتنغتون للدين يقتصر على الديانات بوصفها ديانات سماوية ، والواقع ان منتجات الحضارة الغربية الفكرية من ليبرالية واشتراكية وفوضوية ونحوهم هي ايضاً معتقدات أو افكار لكنها من صنع الانسان وليست سماوية ، ويفترض هنا أن تكون هذه الافكار جزءً من المعتقدات أو الدين ، الذي هو نتاج الفكر الغربي الوضعي ، الذي لعب العقل فيه دور اساس في صياغة شكله ومعطياته الفكرية ، وهنا يحاول ان ينأى عن الحضارة الغربية صفة الدين السماوي بوصفه قوى غيبية ليشيد بالفكر الغربي بوصفه معطى انساني لا غيبي على خلاف بقية الحضارات ، وهنا بدا واضحاً تركيزه على الدين عند الحضارات غير الغربية بوصفها العدو الاساسي للحضارة الغربية ذات البعد الانساني في المعتقد الفكري .

ويفترض أن العالم في أوآخر القرن العشرين قد شهد إعادة أحياء عالمية للأديان حمل معه شعور ديني قوي وانبثاق حركات أصولية ، وهذا الأمر قوّى من حدة الخلافات بين الأديان العالمية مما سيؤدي إلى اندلاع صراع بين الحضارات [3] . وفي

(1) المصدر نفسه ، ص123–124 .

(2) المصدر نفسه ، ص123 .

(3) المصدر نفسه ، 140–141 . يقدم هانتنغتون احصاءات حول عدد المعتنقين للأديان في العالم ويرى في الإسلام مثلاً زيادة ملحوظة في عدد المعتنقين له فيرى أن عدد المعتنقين للإسلام في عام 1900م كان قد بلغ (12،4 %) وصل عام 1970م إلى (15،3 %) ، ثم وصل في عام 1980م إلى (16،5 %) ووصل عام

هذا الصدد يعلّق هانتنغتون على هذه المسألة بالقول : أن المصدر الجوهري للصراعات في هذا العالم الجديد لن يكون بالدرجة الأولى إيديولوجيا أو اقتصادياً لكنه سيكون ثقافياً (حضارياً) . والصراعات الرئيسية ستحدث بين الدول والمجموعات المنتمية لحضارات مختلفة [1] . فمع انتهاء الحرب الباردة بين المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي ، انتقلت السياسات العالمية من طورها الغربي ليصبح محورها الأساس التفاعل بين حضارة الغرب والحضارات غير الغربية . فبعد أن كان عالم الحرب الباردة قد قسم العالم إلى عالم أول وعالم ثان وعالم ثالث ، لم تعد هذه التقسيمات مناسبة للعصر ، فالأكثر منطقية اليوم أن تُصنّف إلى ثقافتها وحضارتها [2]. ففي العالم المعاصر يشكل الدين قوة رئيسية ، وربما القوة الرئيسية التي تحرّك وتعبّئ الشعوب [3]. وأن المسيحية والإسلام سيزداد احتمال انتشارهما في الحضارات ، بسبب فشل أديان الحضارات الأخرى التقليدية ، وسيحل محلها الإسلام والمسيحية [4]. ويلحظ هانتنغتون أن الأديان التقليدية المهيمنة على المجتمعات إذا لم تتمكن من الإيفاء بالحاجات العاطفية والاجتماعية للأفراد المتضررين ، فسوف تتحرك جماعات دينية أخرى لتقوم بذلك الأمر محلها [5].

ومع كل هذا فالأمر الأساس عند هانتنغتون أن العالم سيظل يتشكل بأهداف وأولويات ومصالح الدول الغربية الرئيسية [6]. وهذه الدول عنده مؤلفة من مجموعتين :

2000م إلى (19،2 %) ومن المتوقع أن يصل إلى 20 أو 30 % في عام 2025م في مقابل أنخفاض اعداد المعتنقين للمسيحية الأرثوذكسية التي كانت في عام 1900م تبلغ (7،5 %) وصلت عام 2000 إلى (2،4 %) . للتفاصيل ينظر ، هانتنغتون ، المصدر السابق ، ص141-144 .

(1) صموئيل هانتنغتون ، صراع الحضارات ، ترجمة نجوى أبو غزالة ، مجلة شؤون سياسية ، العدد الأول ، السنة الأولى ، (بغداد ، 1994) ص116 .

(2) المصدر نفسه ، ص116 .

(3) المصدر نفسه ، ص144 .

(4) المصدر نفسه ، ص142 .

(5) نفسه ، ص196 .

(6) هانتنغتون ، صدام الحضارات ، المصدر السابق ، ص19 .

الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا سيتخذون القرارات الحاسمة في القضايا السياسية . والولايات المتحدة والمانيا واليابان سيتخذون القرارات الحاسمة في القضايا الاقتصادية [1].

ويربط هانتنغتون الاقتصاد بالحضارة . فالكتل الاقتصادية الإقليمية يمكن أن لا تنجح إلا عندما تكون متجذِّرة في حضارة مشتركة ، ويضيف بأنه سيكون للنزعة الإقليمية الناجحة في الاقتصاد دورها في تعزيز الوعي الحضاري . وهكذا اليوم تحكم الحضارات الاقتصاد . وأمثلته على ذلك هي : المجموعة الأوربية ومنظمة التجارة الحرة الأمريكية الشمالية [2].

يقر هانتنغتون بأن الحضارة الغربية في العصر الحديث ، هي الوحيدة التي كان لها تأثير هائل وأحياناً تخريبي على كل حضارة . فإن نحو (167) مليون نسمة قضوا في حروب القرن العشرين ، وكان للغرب دور أساسي فيها [3]. كان المستعمرون الأوربيون يسيطرون في عام 1800م على 35 % من الكرة الأرضية ، وفي عام 1878م سيطروا على 67% ، وفي عام 1914م سيطروا على 84% من الكرة الأرضية [4]. وينتقد السيد كيشور محبوباني وكيل وزارة الخارجية السنغافوري السابق " حماقة الغرب " في محاولاته للسيطرة على 85% من سكان العالم ، ويرى أن التحدي الحقيقي الذي يواجه الغرب هو إعادة تقويم المفاهيم الرئيسية التي تميزت بها الحضارة الغربية ، والثمن الذي تدفعه هذه الحضارة في تطبيق مبادئها [5].

---

(1) المصدر نفسه ، ص20 ، ص167 .

(2) الجابري ، المصدر السابق ، ص109 .

(3) المصدر نفسه ، ص 22 ، ص48 .

(4) المصدر نفسه ، ص119 .

(5) صراع الحضارات : آراء ومناقشات ، مجلة شؤون سياسية ، العدد الأول ، السنة الأولى ، كانون الثاني ،(بغداد ، 1994) ص129 .

أما عن الإعلام ودوره في التشكّل الثقافي للحضارات يرى هانتنغتون أن العالم ما بعد الحرب الباردة ، يؤدي الإعلام فيه دوراً مهماً فيه ، حيث يكون التركيز الإعلامي منصبّاً على رموز الهوية الثقافية الأخرى ، بما في ذلك الصليب والهلال .. فيقول إن الثقافة مهمة ولها معنى عند أغلب البشر [1]. ويرى في هذا الصدد أنه في هذا العالم يُؤخذ الطابع الثقافي بعين الاعتبار في سياسة الحكومات تجاه أوطانها . فالسياسة الحكومية تجاه أبناءها تأخذ الجانب العرقي بعين الاعتبار ؛ أما السياسة العالمية فهي " سياسات حضاراتية " قائمة على أساس التصادم [2].

ويقدم أثناء مناقشته حول الصراع الحضاري بين الحضارات مصطلحات صدامية أخرى من قبيل (الدول المتصدعة والدول الممزقة وخطوط الصدع الحضاري) ويرى أن هذه المصطلحات تنطبق على الحضارة الإسلامية ، فهناك دول إسلامية تتعرض إلى صدع حضاري وتواجه مشكلة المحافظة على وحدتها كما هو الحال في السودان بين شمال مسلم وجنوب مسيحي[3] ، وتركيا التي يصفها بالدولة الممزقة ، والتي تحاول أن تلطّف من واقعها بأن تصف نفسها (بالجسر بين الثقافات) فهي تبدو في الظاهر دولة مسلمة ، ولكن عندما تخاطب حلف شمال الأطلسي فهي دولة أوربية . ويعلق هانتنغتون على هذا الأمر بالقول : " أن هذا الأمر يعني بوضوح أن تركيا ليست جزءاً من أي من الحضارتين بل هي بلاد ممزقة حضارياً " [4].

الغرب والإسلام وحتمية الصراع

يبحث هانتنغتون عن الأسباب الموضوعية التي تفجّر الصراع بين الحضارات . ويرى بأن التصادم الحضاري يحدث بسبب الفروق الأساسية التي تتميز بها كل حضارة من هذه الحضارات ، وأهم هذه الفروق هي الدين . فالمنتمون لحضارات مختلفة

---

(1) المصدر نفسه ، ص70 .

(2) المصدر نفسه ، ص74 .

(3) هانتنغتون ، صدام الحضارات ، ص259 .

(4) هانتنغتون ، صدام الحضارات ، ص279 .

يمتلكون وجهات نظر مختلفة بشأن العلاقة بين الرب والإنسان ، وهذه الاختلافات هي نتاج قرون خلت ولن تختفي سريعاً ، وهي أكثر جوهرية من الفروق بين الأيديولوجيات السياسية والأنظمة السياسية [1].

ووفقاً لذلك فأن الصراع الحضاري في المستقبل سيأخذ شكلين : على المستوى المحلي سيكون هناك صراعات في خط الصدع الموجودة بين الدول المتجاورة والتي تنتمي إلى حضارات مختلفة ، وبين جماعات من حضارات مختلفة في الدولة الواحدة . والشكل الثاني سيكون بين جماعات تحاول أن تبني دولة جديدة مثلما هو الحال في الدول التي كانت سابقاً في جمهورية يوغسلافيا . ويرى ان صراعات خط الصدع هذه ستكون ظاهرة بوضوح بين المسلمين وغير المسلمين [2]. وهذا تحشيد عالمي واضح ضد الإسلام يحاول أن يؤججه لحمل العالم على محاربة الإسلام ، وإظهاره بمظهر العدو المستقبلي للحضارة الغربية .

لقد صار إحياء الدين من الظواهر العالمية ، وأثّرت على التشدد الثقافي في مواجهة الغرب ، وبدأت هذه الظاهرة تبرز بوضوح في الإسلام الذي بدأ في إعادة إحياء شاملة للثقافة والمجتمع والسياسة ، لقد أصبح هناك رفض إسلامي للقيم والمؤسسات الغربية لم يشهد له مثيلاً من قبل . وبدأ المسلمون ، بأعدادهم الهائلة ، يتجهون صوب الإسلام بوصفه مصدر للهوية والمعنى والاستقرار والشرعية والتطور والأمل . يلخّصه شعار (الإسلام هو الحل) . فالصحوة الإسلامية Islamic Resurgence يمثل عند هانتنغتون آخر مظهر في تكيف الحضارة الإسلامية مع الغرب ، فهو مجهود لإيجاد الحل في الإسلام وليس في الغرب ، كذلك يجسد قبول الحداثة ورفض التغريب [3].

---

(1) هانتنغتون ، صراع الحضارات ، المجلة ، ص117 .

(2) هانتنغتون ، صدام الحضارات ، المصدر السابق ، ص368 .

(3) المصدر نفسه ، ص203 ، ص215 .

وفي معرض موقفه من طبيعة العلاقة بين الإسلام والغرب لا يختلف هانتنغتون عن زملائه من أنصار الخطاب الصدامي لا سيما برنارد لويس في وصف العلاقة بين الإسلام والمسيحية بأنها كانت غالباً " عاصفة " ، بل إنه يرى أن الصراع بين الليبراليين والماركسيين في القرن العشرين يمثل ظاهرة سطحية زائلة بالمقارنة مع العلاقة التصارعية العميقة والمستمرة بين الإسلام والمسيحية [1]. ويرى في أسباب هذا الصراع أنه يكمن في طبيعة الدينين والحضارتين المؤسسة على مبادئهما . فالمسلم يرى أن الإسلام منهج حياة يوحّد الدين والسياسة على عكس المفهوم الغربي المسيحي الذي يفصل الدين عن السياسة [2]. فهذا الاختلاف هو اختلاف جوهري بين الدينين انعكس بالتالي على الحضارتين ، واتخذ شكل صراع بينهما . ولم يكتف هانتنغتون في وصف العلاقة بين الإسلام والمسيحية بالعداء ، بل عمّم هذا الأمر ليشمل كل الأديان الرئيسية ، وليبين أن الإسلام هو عدو العالم ، فيقول في هذا الصدد بان العلاقات بين جماعات المسلمين وشعوب الحضارات الأخرى الكاثوليك – البروتستانت – الأرثوذكس – الهندوس – البوذية – اليهودية – الصينيون كانت عامة علاقات عدائية معظم هذه العلاقات كانت عنيفة في الماضي على طول محيط الإسلام ، ليصل إلى الفكرة الجوهرية من أطروحته وهي : " المسلمون لديهم مشاكل للعيش بسلام مع جيرانهم " [3]. وهذه المقولة التي قدمها هانتنغتون توضح بشكل لا لبس فيه موقفه المعادي من الإسلام والحضارة الإسلامية ، من أجل البرهنة على وحشية الاسلام وتبرير المواقف العدائية للغرب منه ، وبالتالي تبرير شن الحروب العدوانية عليه ، من خلال ممارسة عملية تشويه خطيرة لتاريخ المسلمين ومواقفه من اصحاب الديانات الاخرى .

ولم يكتف هانتنغتون بوصف الاسلام بكل الصفات السيئة وتبرير العنف نحوه بل راح يبرر ويختلق اسباباً وراء نزعة المسلمين للصراع خلال التاريخ ، ليبرر بها

---

(1) هانتنغتون ، صدام الحضارات ، المصدر السابق ، ص 370 .

(2) المصدر نفسه ، ص372 .

(3) المصدر نفسه ، ص440 .

وجهة نظره ، وهذه الأسباب هي العسكرة وطبيعة المجتمعات المسلمة والقرب المكاني للجماعات غير المسلمة . كذلك الأمبريالية الغربية وانعدام وجود دولة إسلامية أساسية أو أكثر من دولة ، وهناك (الانفجار السكاني) ووجود أعداد هائلة من الشباب العاطل عن العمل يمثل مصدر مهم لعدم الاستقرار والعنف وبالتالي فإن شيخوخة هذا الجيل في العقد الثالث من القرن الواحد والعشرين والتطور الاقتصادي في المجتمعات الإسلامية ستقلص نزعة العنف الإسلامي[1] . وهكذا يبدو واضحاً أن نظرية صدام الحضارات قد تم تلخيصها بالصراع مع الإسلام وحده وان التاريخ العالمي ما هو إلا صراع بين الإسلام وخصومه ، متجاهلاً كل الصراعات التي حدثت عبر التاريخ بين مختلف الحضارات .

ورصد هانتنغتون ظاهرة حضاراتية جديدة بدأت تطرأ على عالمنا المعاصر وهو إن هذا العالم آخذ في أن يصبح أكثر حداثة وأقل نزوعاً نحو الغرب [2]، وذلك بفعل ثقافة الصدام والصراع بين الحضارات . ويرسم هانتنغتون في النهاية خريطة جديدة لما يسميه بـ " الصدامات الحضارية المقبلة " . فيرى بأنه بعد فشل الحكومات في استنفار التأييد وتحقيق التحالفات على أسس أيديولوجية ، فإنها ستبذل المزيد من الجهود للحصول على التأييد عن طريق مناشدة عوامل الدين المشترك والهوية الحضارية ، فيتحول الصراع عنده من صراع إيديولوجي – كما كان عليه الحال في الحقبة السوفياتية – إلى صراع حضاري ، يحركه الاشتراك في الدين والهوية الحضارية . وأبرز حدود التوتر الحضاري هي تلك الحدود التي تفصل في أوربا بين المسيحية الغربية من جهة ، والمسيحية الارثوذكسية (الشرقية) والإسلام من جهة أخرى . وهي الحدود الفاصلة اليوم بين فنلندة وروسيا ودول البلطيق لتنزل إلى بلاد البلقان حيث ستتطابق مع الحدود التأريخية التي كانت تفصل بين إمبراطورية الهابسبورغ والدولة العثمانية . وهكذا حلّ "

---

[1] المصدر نفسه ، ص452–453 .

[2] هانتنغتون ، صراع الحضارات ، المجلة ، المصدر السابق ، ص164 .

الستار الحديدي " الذي كان يقسم أوربا إلى غربية وشرقية ، إلى " ستار حضاري " قوامه جدار مشيد لا من حديد أو أسمنت بل من الدين والتاريخ .[1]. وتعلق السيدة كيركباتريك الأستاذة في جامعة جورج تاون على الصراعات في حدود التوتر الحضاري فترى بالنسبة للصراعات التي تشمل الإسلام فهي ترى أن أكثر الصراعات تفجراً تحدث داخل العالم الإسلامي وليس على حدوده . حيث يستهدف الأصوليون الإسلاميون مثلاً حكوماتهم وليست الحضارات الأخرى [2].

وقد لاحظ هانتنغتون الزيادة المطردة في عدد المسلمين في العالم ، وما يشكله ذلك من تهديد حقيقي للحضارة الغربية ، ويرى أنه في المدى الطويل سيكون النصر في هذا الصدام حليف للإسلام ، ذلك أن المسيحية تنتشر عن طريق الاعتناق فحسب ، لكن الإسلام ينتشر بالاعتناق والتكاثر السكاني .

ويرى هانتنغتون أن ثمة تشابه في البعد السياسي بين ظاهرة الانبعاث الإسلامي – أو ما يعرف عند البعض بـ (الاسلام السياسي) وبين الماركسية ، رغم اختلاف المنطلقات بين الظاهرتين ، فيرى أن هناك نصوص (دينية) بين الظاهرتين ونظرة كاملة للمجتمع ، وعزم على إحداث تغيير جذري ورفض للقوى الموجود في الساحة ورفض الدولة القومية والتنوع ، كما يرى ثمة أوجه تشابه مع حركة الإصلاح البروتستانتي فيرى أن كلاهما رد فعل على الركود والفساد في المؤسسات القائمة والدفاع عن العودة إلى شكل أنقى من الدين وأمور تتعلق بالتبشير الدعوي والنظام والتنظيم والتوجه نحو الناس [3].

ويربط هانتنغتون بين الإسلام والهوية الحضارية له بأن المسلمون يحددون هويتهم الأساسية بالولاء للجماعات الدينية وليس بمعايير عرقية أو إقليمية ، ذلك أن

[1] الجابري ، المصدر السابق ، 115 – 116 ؛ منى ياسين ، الغرب والإسلام ، دار جهاد للنشر والتوزيع ، (القاهرة ، 1994) ، ص171 .

[2] صراع الحضارات : آراء ومناقشات ، ص130

[3] هانتنغتون ، صدام الحضارات ، ص216–217 .

الجماعات الدينية تستجيب للحاجات الاجتماعية أكثر من العلمانية وبيروقراطيات الدولة المهملة [1]. وينقل عن الكاتب الإسلامي حسن الترابي قوله أنه لا الوطنية أو الاشتراكية سبّبت تطور العالم الإسلامي ، بل الدين هو محرك التطور ، وبالتالي الحضارة الإسلامية ترى في الدين عنصر تطور وقوة لها والإسلام يمثل قوة محركة لمعتنقيه يدفعهم باتجاه تطور حضارتهم . وبهذا المعنى تمثل الأديان غير الغربية ، ولاسيما الإسلام ، أكثر المظاهرة قوة وتحدي للغرب ، ذلك أن الأحياء أو الانبعاث الديني لا يمثل رفضاً لقيم الحداثة ، بل للغرب وقيمه العلمانية ، إنه على حد وصف هانتنغتون : " اعلان استقلال ثقافية (حضارية) عن الغرب" وبعبارة أخرى يقتبسها عن مسؤول سعودي : " نحن نريد أن نتقدم ولكن لا نريد أن نكون أنتم " [2].

وفي معرض حديثه حول ظاهرة الانبعاث الإسلامي يرى أن الإسلام هو الحل لمشاكل الأخلاق والهوية والمعنى والأيمان ، ولكن ليس لمشاكل عدم العدالة الاجتماعية والكبت السياسي والتخلف الاقتصادي والضعف العسكري ، ويجد في (عجز) الإسلام عن حل هذه المشكلات والإخفاقات بأنها ممكن أن تولد تحرراً من الوهم حول الإسلام السياسي ، وتولد رد فعل تبحث عن حلول بديلة لهذه المشكلات [3].

المحور الثالث : رؤية نقدية لنظرية صدام الحضارات

لا شك في أهمية النقد في أي عمل فكري ، لأنها ستسهم في توضيحه وشرحه وتبيان جوانب القوة والضعف في طروحاته . وهذا ما نلحظه في هذا البحث ، فقد بدا واضحاً أنه قد تم التعامل مع الحضارة الغربية وقيمها ومعتقداتها وأنماطها السلوكية

---

[1] المصدر نفسه ، ص195 .

[2] هانتنغتون ، صدام الحضارات ، ص201 .

[3] صراع الحضارات : آراء ومناقشات ، المصدر السابق ، ص234 .

ووسائل حياتها بوصفها الأرقى دائماً ، أما المجتمعات الأخرى وبقية الحضارات فإنها حسب المنظور الصدامي فهي تقليدية أو رجعية أو متخلفة [1].

أن الغرب أحس بالخطر على حضارته وسيادة قيمه فأعلن الحرب دون اكتراث بالقيم الحضارية والثقافية للتواصل بين الشعوب ولبناء السلام، فلا يمكن أن نبني السلام دون احترام قيم الآخر.

إن المشكلة الجوهرية في الخطاب الصدامي هي أن الغرب غير مستعد للتعامل مع بقية الحضارات بندية وفق مفهوم الأخذ والعطاء . وكما يقول أحد الباحثين فإن :" الإشكال هو أننا نتعامل معها بينما هي لا تتعامل معنا بل تحاول إخضاعنا لقوانينها وقيمها "[2] .

إن خطاب هانتنغتون الصدامي يعبر عن خطاب جزء كبير من دوائر الفكر الاستراتيجي الغربي ، فقد قدمت رؤيتها بأن الاسلام هو العدو ، الذي حل محل " امبراطورية الشر الشيوعية " وهذا العداء للإسلام نابع من طبيعة الإسلام ، التي استعصت وتستعصي عليهم ، في الذوبان في النموذج الحضاري الغربي ، والتبعية للمركزية الحضارية الغربية . لقد عبرت مجلة شؤون دولية البريطانية في يناير / كانون الأول سنة 1990 عن هذه الرؤية عندما قالت : " لقد شعر الكثيرون في الغرب بالحاجة إلى اكتشاف تهديد يحل محل التهديد السوفيتي .. ولقد كان الإسلام جاهزاً في المتناول .. فالإسلام مقاوم للعلمنة ، وسيطرته على المؤمنين به قوية ، وهي أقوى الآن مما كانت قبل مائة سنة مضت ، ولذلك فهو الهدف المباشر للحملة الغربية الجديدة ،

---

(1) عارف ، المصدر السابق ، ص25 .

(2) الحرب الحضارية ومستقبل العالم الإسلامي ، جوار مع عالم المستقبليات الدكتور المهدي المنجرة ، حاوره د. محمد المستيري ، ص5 . صحيفة القدس العربي ، تاريخ 17 اكتوبر / تشرين الاول / 2017. منشور على الموقع الالكتروني :

https://www.alquds.co.uk

ليس لسبب سوى أنه الثقافة الوحيدة القادرة على توجيه تحدٍّ فعلى وحقيقي للمجتمعات الغربية .. " [1].

ولعل هانتنغتون قد بنى تصوره للصدام الحضاري بين الحضارات على تصورات المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي (1889–1975) الذي بدوره آمن بوجود هجوم مضاد معادي للحضارة الغربية ذي تأثير أكبر من التأثير الشيوعي سينبع من حضارات أخرى . هذا التصور الذي بنى عليه وطوره باستبدال الماركسية بالإسلام إلى جانب الحضارة الكونفوشيوسية [2].

وبحسب محرر صحيفة وول ستريت جورنال السيد روبرت بارتلي الذي يرى في نظرة هانتنغتون الارتيابية من الحضارات الأخرى ، لا سيما الإسلام تعود إلى فقدان الحضارة الغربية ثقتها بالقدرة على التحكم في القوى التي تصنع المستقبل . إن اهتمام الشعوب المتزايد بخصوصية حضارتها وقيمها ومبادئها الدينية أمر لا تنفرد به الحضارة الإسلامية ، فهناك قوى أخرى في العالم تسعى نحو التكامل في العلاقات الدولية [3]. لذا فإن الغرب بحاجة إلى تعميق تفهمه للمبادئ الدينية والفلسفية في الحضارات الأخرى وفهمها لمصالحها الخاصة ، بهدف تحديد المصالح المشتركة [4] .

إن أول ما يلفت الانتباه في تصنيف هانتنغتون للحضارات هو عدم التزامه بمقياس واحد للتصنيف : فالحضارة الغربية نسبة إلى الغرب وهو تصنيف جغرافي ، والحضارة الكونفوشية نسبة إلى كونفوشيوس الحكيم والفيلسوف الصيني (القرن الرابع قبل الميلاد) ، والحضارة الإسلامية نسبة إلى دين ، والهندية نسبة إلى بلد ، وحضارة أميركا اللاتينية نسبة إلى قارة .. وهكذا . فهذه المقاييس المطبقة في تصنيف هانتنغتون

[1] ثابت عيد (مترجم)، صورة الإسلام في التراث الغربي ، دراسات المانية ، نهضة مصر (القاهرة ، 1999) ، ص4–5 .

[2] السيد أمين شلبي ، نظرات في أرنولد توينبي ، دار قباء للطباعة والنشر (القاهرة ، 2000) ، ص89 .

[3] صراع الحضارات : آراء ومناقشات ، مصدر سابق ، ص129 .

[4] المصدر نفسه ، ص134 .

تختلف عن العناصر التي يجعلها أساسية في التمايز الحضاري بعضها عن بعض فهو يقول بأساسية التمايز بين الحضارات ، فالحضارات تختلف الواحدة منها عن الأخرى من حيث اللغة والتاريخ والثقافة والتراث ، والأهم من ذلك : الدين " فإذا كان الأمر كذلك فلماذا الفصل بين الحضارة الغربية وحضارة أمريكا اللاتينية ، وهما حضارتان تشتركان في الدين واللغة والثقافة والتراث والتاريخ بنفس المقدار الذي تشترك به بلدان أوربا في هذه العناصر أو أكثر ؟ أليست الحضارة السلافية الأرثوذكسية ، مثلاً ، أقرب إلى الحضارة الغربية من الحضارة الإيرانية إلى الحضارة الأندونيسية اللتين يجعلهما تنتميان إلى حضارة واحدة هي الحضارة الإسلامية ؟[1] يتسائل أحد الباحثين .

الواقع إن هانتنغتون لا يستعمل الدين كمقياس للتمييز بين الحضارات إلا بالنسبة للإسلام وحده ، أما الحضارات الأخرى فهو ينسبها إلى شيء غير الدين فالكونفوشية ليست ديناً بل فلسفة أخلاقية وسياسية . كما إن الديانة السائدة في الصين هي البوذية وتليها الطاوية . بالإضافة إلى أن الكونفوشيوسية منتشرة أيضاً في اليابان . لذا فلو نحن اعتمدنا الدين كأساس لتصنيف الحضارات فسيكون من المعقول تماماً جمع كل من الهند والصين واليابان تحت أسم " الحضارة البوذية " باعتبار أن البوذية تمثل القاسم المشترك بين هذه البلدان [2] . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن هذا التصنيف لا ينسجم مع الواقع عندما يصف الهند مثلاً بأنها " حضارة هندوسية " ، فهو يقلل من قيمة واقع أن الهند فيها من المسلمين أكثر من أي بلد آخر في العالم باستثناء إندونيسيا ، ولا يزال الواقع يظهر أن الهند بها مسلمون أكثر كثيراً من أي بلد آخر داخل تعريف هانتنغتون للعالم الإسلامي . كما أنه من المستحيل التفكير في حضارة الهند المعاصرة من دون ملاحظة الأدوار الرئيسية للمسلمين في تاريخ البلاد [3].

---

[1] الجابري ، المصدر السابق ، ص103 .

[2] المصدر نفسه ، ص104 .

[3] صن ، المصدر السابق ، ص58 .

ويقفز الكاتب على الاختلافات العرقية بوصفها أقوى من الانتماء الطبقي والأيديولوجي ليقرر أن الدين هو أقوى من غيره في هذا المجال ، وليبرهن على ذلك فيقول : بوسع المرء أن يكون نصف فرنسي ونصف عربي وأن يكون في الوقت نفسه مواطن دولتين ، ولكن الأشد صعوبة هو أن يكون نصف كاثوليكي ونصف مسلم " . وهذه مغالطة كبيرة : فإذا كان الأمر يتعلق بالشخص الذي يحمل جنسيتين ويتمتع بحق المواطنة في دولتين فهذه ظاهرة لا علاقة لها بالدين ولا بالحضارة ولا بالأعراق ، إنها مسألة قانونية . فالناس كانوا في السابق يتنقلون دون جواز سفر . أما عبارة نصف كاثوليكي ونصف مسلم فلا يقال فيه ذلك بل يقال هو ذلك المولود من أب غربي وأم فرنسية ، فهو شخص واحد منحدر مثل جميع البشر من ذكر وأنثى . فالمغالطة هنا هي جعل الانتماء إلى دولتين كالانتماء إلى دينين [1]. إذ تشكل هذه المسألة واحدة من أبرز المشاكل التي تؤرق العالم الغربي في كيفية التعامل مع الناس الذين لا ينصهرون حضارياً أو ينجرون وراء الغرب ، لذلك نلحظ هانتنغتون وأمثاله يحاولون الفصل (الحضاري) ان صح التعبير بينهم وبين المنصهرين حضارياً ، لذلك فإن مسألة الانتماء الحضاري تشكل واحدة من اكثر الهواجس التي يعاني منها بعض الغربيين المتحيزين حضارياً .

لقد كان من المفترض ، لو أن الكاتب كان يفكر في قضايا عصره من أجل فهمها والتماس الحلول لها خدمة للإنسانية ككل ، مع الافتراض بأنه مقتنع فعلاً بأن صدام الحضارات يتهدد الأمن العالمي في المستقبل ، كان المفروض أن ينتهي هذا الكاتب إلى نتيجة يدعو فيها جميع الجهات ، جميع الدول والأمم ، إلى الوعي بهذا الخطر ويطالبها أو يقترح عليها اتخاذ التدابير الضرورية الكفيلة بتلافي هذا الخطر الماحق . لكنه بدلاً من ذلك ، تعامل منذ البداية مع الفرضية كحقيقة تاريخية حكمت تطور التاريخ في الماضي وستحكمه في المستقبل . وهكذا راح يعيد بناء التاريخ كله

---

[1] الجابري ، المصدر السابق ، ص106 – 107 .

بالصورة التي تجعل منه صدام للحضارات ، الماضي والحاضر والمستقبل في ذلك سواء . والهدف من ذلك كله التهويل والتخويف والنتيجة هي أن يستمر الغرب في تطوير قواه العسكرية وضرورة صرف الأموال اللازمة لذلك [1]. فالمهم هو أن يدرك الغرب أن الإسلام والمسلمين جميعاً يتسمون أصلاً بالعنف والعدوانية ، وبذلك فهم يمثلون تهديداً حقيقياً للحضارة الغربية [2]. إن خطورة هذا الخطاب هو قلب الموضوع وهو الإسلام بالدرجة الأولى ، ذلك أن هانتنغتون يركز على الإسلام سواء في تحليله التاريخي أو في عرضه لوقائع الحاضر ، بينما لا يستحضر الصين إلا في أثناء حديثه عن اتجاه تطور النمو في الوقت الحاضر بجنوب شرق أسيا .

لقد بات الإسلام ومنذ عقود سبقت الشغل الشاغل في الغرب . وما يعنيه ليس الدين الإسلامي ولا الحكومات التي تحكم بإسمه ، وإنما يعنيه أن الإسلام يهدد مصالح الغرب . فالإسلام في نظر الغرب الذي يتكلم هانتنغتون باسمه اليوم هو شيء آخر . هو العدو رقم واحد وإن لم يكن اليوم فسيكون كذلك غداً . بل إنه بمفهوم الخطاب الصدامي ، هو العدو القديم الجديد هو العدو في الماضي والحاضر والمستقبل [3].

أما بالنسبة لمفهومي الدين والحضارة عند هانتنغتون فيبدو الغموض والإبهام واضحين في رؤيته لهما ، وربما تعمد ذلك . فيرى هانتنغتون في الدين بأنه الخاصية الأساسية في التعريف بهذه الحضارات ، أما الحضارة فهي هوية ثقافية ، ولكنه لم يوضح المعنى من قوله بالهوية الثقافية . ومن جهة أخرى يبين أن الحضارة هي أعلى تجمع ثقافي وأن محدداتها تكمن في " اللغة والتاريخ والدين والعادات والمؤسسات " ، وهي تمثل أوسع مستويات الهوية كالحضارة الغربية والحضارة الإسلامية والصينية .

---

(1) المصدر نفسه ، ص125- 126 .

(2) عيد(مترجم) ، المصدر السابق ، ص 46 .

(3) الجابري ، المصدر السابق ، ص126 .

إذن فأي التعريفين هو المفهوم الواضح للحضارة عنده أهو " هوية ثقافية " أم " أوسع مستويات الهوية " [1].

الخلاصة

من خلال ما سبق يمكن أن يخرج البحث ببعض الاستنتاجات الخاصة حول هذا الموضوع ولعل أهم هذه الاستنتاجات هي :

- إن المشكلة الجوهرية في الخطاب الصدامي هي أن الغرب غير مستعد للتعامل مع بقية الحضارات بندية وفق مفهوم الأخذ والعطاء . أن الغرب أحس بالخطر على حضارته وقيمه فأعلن الحرب دون اكتراث بالقيم الحضارية والثقافية للتواصل بين الشعوب ولبناء السلام، فلا يمكن أن نبني السلام دون احترام قيم الآخر.
- إن خطاب هانتنغتون الصدامي يعبر عن خطاب جزء كبير من دوائر الفكر الاستراتيجي الغربي حيث قدمت رؤيتها بأن الإسلام هو العدو ، الذي حل محل " إمبراطورية الشر الشيوعية " وهذا العداء للإسلام نابع من طبيعة الإسلام ، التي استعصت وتستعصي عليهم ، في الذوبان في النموذج الحضاري الغربي ، والتبعية للمركزية الحضارية الغربية .
- لم يلتزم هانتنغتون بمقياس واحد للتصنيف بين الحضارات : فالحضارة الغربية نسبة إلى الغرب وهو تصنيف جغرافي ، والحضارة الكونفوشيوسية نسبة إلى كونفوشيوس الحكيم والفيلسوف الصيني (القرن الرابع قبل الميلاد) ، والحضارة الإسلامية نسبة إلى دين ، والهندية نسبة إلى بلد ، وحضارة أميركا اللاتينية نسبة إلى قارة .. وهكذا .
- إن هانتنغتون لا يستعمل الدين كمقياس للتمييز بين الحضارات إلا بالنسبة للإسلام وحده ، أما الحضارات الأخرى فهو ينسبها إلى شيء غير الدين فالكونفوشية ليست ديناً بل فلسفة أخلاقية وسياسية . كما إن الديانة السائدة في الصين هي البوذية وتليها الطاوية . بالإضافة إلى أن الكونفوشيوسية منتشرة أيضاً في اليابان .

---

[1] الجابري ، المصدر السابق ، ص99-100 .

- لقد بات واضحاً أن مفهومي الدين والحضارة عند هانتنغتون فيهما غموض وإبهام واضحين ، وربما تعمد ذلك . فيرى هانتنغتون في الدين بأنه الخاصية الأساسية في التعريف بهذه الحضارات ، أما الحضارة فهي هوية ثقافية ، ولكنه لم يوضح المعنى من قوله بالهوية الثقافية .

Refrences

- Ali Bin Ibrahim Al-Namla, Criticism Of The Contemporary Mind, Creating Hatred between Cultures And the Impact Of Orientalism In Fabricating It, Dar Al-Fikr, Damascus, 2008, 138.
- Mark D. Mandeles, Presentation To The Military Classics Seminar, 19 May 2009, Fort Myers's Officer's Club. Samuel P. Huntington, The Soldier And The State: The Theory And Politics Of Civil-Military Relations, Cambridge: The Belknap Press, 1957, 200
- Mr. Amin Shalabi, A Look at Arnold Toynbee, Dar Quba for Printing and Publishing, Cairo, 2000, 890.
- Samuel Huntington, Islam And The West: Horizons of Clash, Madbouly Bookshop, Cairo, 1995, 609.
- Thabet Eid, The Image Of Islam In Western Heritage, Nahdat Misr, Cairo, 100, 1999.

_ Abdullah Youssef Sahar Muhammad, Oriental Institutions And Western Policy Towards Arabs And Muslims, Emirates Center For Strategic Studies And Research, Abu Dhabi, 2001), 350.

_ Amartya Sen, Identity and Violence, and the Illusion of Infinite Fate, World of Knowledge Series, Kuwait, 2008, 53.

_ Bright Al-Husari, Opinions And Hadiths In Science, Ethics And Culture, New Printing House, Beirut, 1950, 48.

_ Hussein Munis, Civilization, The World Of Knowledge, Kuwait, 1978, 420.

_ James Harvey Robinson, Civilization, Egypt Press, Cairo, 1965, 8.

_ Muhammad Abed Al-Jabri, Issues In Contemporary Thought, Center for Arab Unity Studies, Beirut, 1997, 390.

_ Nasr Muhammad Aref, Civilization - Culture - Civilization, A study Of The Biography Of The Term And The Significance Of The Concept, the International Institute of Islamic Thought, Amman, 16, 1994.

_ Salama Musa, Culture And Civilization, Al-Hilal Magazine, Cairo, 171, 1927.

_ Shakht And Bosworth, The Heritage Of Islam, The World of Knowledge, Kuwait, 1988, 540.
_ Wael Durant, The Story Of Civilization, The Emergence Of Civilization, Cairo, 1956, 600.
_Bernard Lewis, "The Roots Of Muslim Rage; Why So Many Muslims Deeply Resent The West And Why Their Bitterness will not Be Easily Mollified" Atlantic Monthly, September, 1990, 60.
Abdel-Wahhab Al-Kayyali, Encyclopedia Of Politics, Arab Foundation For Studies And Publishing, Beirut, 2001, 580.
Muhammad Al-Husayni Ismail, Islam And The West, Confrontation And Solution, Wahba Bookshop, Cairo, 250, 2005.

The Relation Between Religion and Civilization in Samuel Huntington's Vision

Mahmoud Saleh Saeed*

Abstract

This paper sheds light on one of the most important intellectual and ideological foundations of the clash of civilizations theory, presented by Harvard University political scientist Samuel Huntington. Huntington (1927 - 2008), an issue of the relationship between religion and civilization, and the impact of religion on a civil clash. He is one of the leading strategic political analysts in the United States. This theory emerged in the nineties of the last century, and provoked different reactions between supporter and opponent and between the supporter and reprehensible to push one to explore its hollow and know its dimensions.

Key words : Collision, culture, Religion

∗ Prof. Asst./ History Department / College of Arts / University of Mosul